

سورة الشورى

مكية [إلا الآيات ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ فمدنية]
وآياتها ٥٣ [نزلت بعد سورة فصلت]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝١ عَسَى ۝٢ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣﴾ لَمْ يَأْتِ
السَّمَوَاتِ/٢/ ١٦١ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ
فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ۝٥﴾

قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما «حم سق». ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ أي مثل
ذلك الوحي. أو مثل ذلك الكتاب يوحى إليك وإلى الرسل ﴿مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ﴾ يعني أن ما
تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور، وأوحاه من
قبلك إلى رسله، على معنى: أن الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن في جميع الكتب
السمائية؛ لما فيها من التنبيه البليغ واللفظ العظيم لعباده من الأولين والآخرين، ولم
يقُل: أوحى إليك؛ ولكن على لفظ المضارع؛ ليدل على أن إحياء مثله عادته. وقرئ:
«يوحى إليك» على البناء للمفعول. فإن قلت: فما رافع اسم الله على هذه القراءة؟ قلت:
ما دل عليه يوحى، كأن قائلًا قال: من الموحى؟ فقل: الله، كقراءة السلمي: ﴿وَكَذَلِكَ
رَبَّنَا لِكَ كَثِيرٌ مِمَّا أَلْمُذَكِّينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧] على البناء
للمفعول ورفع شركائهم، على معنى: زينه لهم شركائهم. فإن قلت: فما رافعه فيمن قرأ
نوحى بالنون؟ قلت: يرتفع بالابتداء. والعزیز وما بعده: أخبار، أو العزيز الحكيم:
صفتان؛ والظرف خبر. قرئ: «تَكَادُ» بالتاء والياء. وينفطرن، ويتفطرن. وروى يونس عن
أبي عمرو قراءة غريبة «تفطرن» بتاءين مع النون، ونظيرها حرف نادر، روي في نوادر ابن
الأعرابي: الإبل تشمن^(١). ومعناه: يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته، يدل عليه

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: والظاهر أن هذا وَهْمٌ منه؛ لأنَّ ابنَ خالويه قال في شاذ القرآن ما =

مجيئه بعد العلي العظيم. وقيل: من دعائهم له ولداً، كقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرُنَّ مِنْهُ﴾ [مريم: ٩٠]. فإن قلت: لم قال: ﴿مِنْ قَوْفِهِنَّ﴾؟ قلت: لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة: فوق السموات، وهي: العرش، والكرسي، وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش، وما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى؛ فلذلك قال: ﴿يَنْفَطَرُنَّ مِنْ قَوْفِهِنَّ﴾ أي يبتدىء الانفطار من جهتهن الفوقانية. أو: لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات، فكان القياس أن يقال: ينفطرون من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة، ولكنه بولغ في ذلك، فجعلت مؤثرة في جهة الفوق، كأنه قيل: يكذن ينفطرون من الجهة التي فوقهن دون الجهة التي تحتهن، ونظيره في المبالغة قوله عزّ وعلا: ﴿يُصَبِّبُ مِنْ قَوْفِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصَهِّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ [الحج: ١٩ - ٢٠] فجعل الحميم مؤثراً في أجزائهم الباطنة. وقيل: من فوقهن: من فوق الأرضين. فإن قلت: كيف صح أن يستغفروا لمن في الأرض وفيهم الكفار أعداء الله؟ وقد قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ﴾ [البقرة: ١٦١] فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم؟ قلت: قوله: ﴿لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ يدل على جنس أهل الأرض، وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم؛ فيجوز أن يراد به هذا وهذا. وقد دل الدليل على أن الملائكة لا يستغفرون إلا لأولياء الله وهم المؤمنون، فما أراد الله إلا إياهم. ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة المؤمن: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧] وحكايته عنهم ﴿فَأَعْرِضْ

نُصُهُ: تَنْفَطِرُونَ بَالْتَاءِ والنون يونس عن أبي عمرو. وقال ابن خالويه: وهذا حرف نادر؛ لأن العرب لا تجمع بين علامتي تانيث لا يقال: النساء تَقْمَنَ ولكن يَقْمَنَ ﴿وَالْوَلَدَاتُ رُضِعْنَ﴾ ولا يقال: تُرَضِعْنَ، وقد كان أبو عمرو الزاهد روى في نوادر ابن الأعرابي الإبل تَشْمَمُنَ فأنكرناه، فقد قَوَاهِ الآنَ هَذَا.

قال الشيخ: فإن كانت نسخ الزمخشري مُتَّفَقَةً على قوله بتاءين مع النون فهو وهم، وإن كان في بعضها بتاء مع النون كان موافقاً لقول ابن خالويه وكان بتاءين تحريفاً من النساخ، وكذلك كتبهم تَنْفَطِرُونَ وَتَشْمَمُنَ بتاءين. انتهى. قلت: كيف يستقيم أن يكون كُتِبَهُم تَشْمَمُنَ بتاءين وَهَمًا؛ وذلك لأن ابن خالويه أَوْرَدَهُ في معرض الندرة والإنكار حتى تقوى عنده بهذه القراءة؟ وإنما يكون نادراً منكرًا بتائين فإنه حينئذ يكون مضارعاً مسنداً لضمير الإبل فكان من حقه أن يكون حرف مضارعة بتاء منقوطة من أسفل، نحو النساء يقمن فكان ينبغي أن يقال: الإبل يَتَشَمَّمُنَ بالياء من تحت ثم بالتاء من فوق، فما جاء بتاءين كلاهما من فوق ظهر ندوره وإنكاره، ولو كان على ما قال الشيخ: إن كتبهم بتاءين وَهَمًا بل كان ينبغي كُتِبَهُ بتاء واحدة. لما كان فيه شذوذاً ولا إنكار لأنه نظير: النسوة تَذَخَّرَجْنَ فإنه ماضٍ مسند لضمير الإناث، وكذا لو كُتِبَ بياء من تحت وتاء من فوق لم يكن فيه شذوذاً ولا إنكاراً، وإنما يجيء الشذوذ والإنكار إذا كان بتاءين منقوطين من فوق؛ إنه سواء قرئ: ﴿تَنْفَطِرُونَ﴾ بتاءين أو بتاء ونون؛ فإنه نادر لما ذكر ابن خالويه، وهذه القراءة لم يُقْرَأْ بها في نظيرها في سورة مريم. انتهى. الدر المصون.

لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴿٧﴾ [غافر: ٧] كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعاً في استغفارهم، فكيف للكفرة. ويحتمل أن يقصدوا بالاستغفار: طلب الحلم والغفران في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] إلى أن قال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] والمراد: الحلم عنهم وأن لا يعالجهم بالانتقام فيكون عاماً. فإن قلت: قد فسرت قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِرْنَ﴾ بتفسيرين. فما وجه طباق ما بعده لهما؟ قلت: أما على أحدهما فكانه قيل: تكاد السموات يتفطرن هيبة من جلاله واحتشاماً من كبريائه، والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفاً بعد صفوف يداومون - خضوعاً لعظمته - على عبادته وتسيحه وتحميده، ويستغفرون لمن في الأرض خوفاً عليهم من سطوته. وأما على الثاني: فكانه قيل: يكدن ينفطرون من إقدام أهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء، والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها إليه الجاهلون به، حامدين له على ما أولاهم من الطافه التي علم أنهم عندها يستعصمون، مختارين غير ملجئين، ويستغفرون لمؤمني أهل الأرض الذين تبرءوا من تلك الكلمة ومن أهلها. أو يطلبون إلى ربهم أن يحلم عن أهل الأرض ولا يعالجهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم؛ لما عرفوا في ذلك من المصالح، وحرصاً على نجاة الخلق، وطمعاً في توبة الكفار والفساق منهم.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿٦﴾

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ جعلوا له شركاء وأنداداً ﴿اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ﴾ رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم ولا رقيب عليهم إلا هو وحده ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ يا محمد/٢/١٦١ بموكل بهم ولا مفوض إليك أمرهم، ولا قسره على الإيمان. إنما أنت منذر فحسب.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾

فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾

ومثل ذلك ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ وذلك إشارة إلى معنى الآية قبلها: من أن الله تعالى هو الرقيب عليهم، وما أنت برقيب عليهم، ولكن نذير لهم؛ لأن هذا المعنى كرره الله في كتابه في مواضع جمّة، والكاف مفعول به لأوحينا. و﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال من المفعول به، أي أوحيناه إليك وهو قرآن عربي بين، لا لبس فيه عليك؛ لتفهم ما يقال لك، ولا تتجاوز حد الإنذار. ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر ﴿أَوْحَيْنَا﴾، أي: ومثل ذلك الإيحاء البين المفهم أوحينا إليك قرآنًا عربياً بلسانك ﴿لِنُنْذِرَ﴾ يقال: أنذرت كذا وأنذرت بكذا. وقد

عدى الأول، أعني: لتنذر أم القرى، إلى المفعول الأول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع إلى المفعول الثاني. ﴿أَمْ أَلْقَرْتِ﴾ أهل أم القرى كقوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]. ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من العرب. وقرئ «لينذر» بالياء والفعل للقرآن ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ يوم القيامة، لأن الخلائق تجمع فيه. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ [التغابن: ٩] وقيل: يجمع بين الأرواح والأجساد. وقيل: يجمع بين كل عامل وعمله. و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراض لا محل له^(١). قرئ «فريق» وفريق؛ بالرفع والنصب، فالرفع على: منهم فريق، ومنهم فريق. والضمير للمجموعين؛ لأن المعنى: يوم جمع الخلائق. والنصب على الحال منهم، أي: متفرقين، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْعَدُ يَفْرَقُونَ﴾ [الروم: ١٤]. فإن قلت: كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة؟ قلت: هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم، كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين. وإن أريد بالجمع: جمعهم في الموقف، فالتفرق على معنى مشارقتهم للتفرق.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

﴿لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي مؤمنين كلهم على القسر والإكراه، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩] والدليل على أن المعنى هو الإلجاء إلى الإيمان. قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ بِإِذْخَالِ هِمزة الإنكار على المكروه دون فعله. دليل على أن الله وحده هو القادر على هذا الإكراه دون غيره. والمعنى: ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعاً على الإيمان^(٢)، ولكنه شاء مشيئة حكمة، فكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون؛ ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء. ألا ترى إلى وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه.

﴿أَمْ أَلْقَرْتِ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

- (١) قوله: «لا محل له» لعله. لا محل له من الإعراب. (ع).
 (٢) قوله: «لقسرهم جميعاً على الإيمان» هذا عند المعتزلة: أما عند أهل السنة، فالإرادة تستلزم وجود المراد، لكن لا تستلزم القسر والجبر للعباد؛ لأنها لا تنافي الاختيار، لما لهم في أعمالهم من الكسب. وإن كانت مخلوقة له تعالى. وأما التي لا تستلزم المراد وهي التي سماها مشيئة الحكمة، فهي التي بمعنى الأمر عند المعتزلة، ولا يشتها أهل السنة، كما تقرر في التوحيد؛ فمعنى الآية: ولو شاء ربك إيمان الكل لأمن الكل، ولكن شاء إيمان البعض، فأمن من شاء إيمانه.

معنى الهمزة في ﴿إِر﴾ الإنكار، ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ هو الذي يجب أن يُتَوَلَّى وحده ويُعْتَد أنه المولى والسيد، فالفاء في قوله: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ جواب شرط مقدر، كأنه قيل بعد إنكار كل ولي سواه: إن أرادوا ولياً بحق، فالله هو الولي بالحق، لا ولي سواه. ﴿وَهُوَ يُحْيِي﴾ أي: ومن شأن هذا الولي أنه يحيى ﴿الْمَوْتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فهو الحقيق بأن يتخذ ولياً دون من لا يقدر على شيء.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ ذَالِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ﴿٥٩﴾

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين. أي: ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين، فاختلستم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين، فحكم ذلك المختلف فيه مفوض إلى الله تعالى، وهو إثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين، ﴿ذَالِكُمُ﴾ الحاكم بينكم هو ﴿اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في رد كيد أعداء الدين، ﴿وَإِلَيْهِ﴾ أرجع في كفاية شرهم. وقيل: وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله ﷺ، ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] وقيل: وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه إلى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله ﷺ وقيل: وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه، فقولوا: الله أعلم، كعرفة الروح. قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]: فإن قلت: هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في أحكام الشريعة؟ قلت: لا؛ لأن الاجتهاد لا يجوز بحضرة رسول الله ﷺ.

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿٦٠﴾

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ﴾ قرئ بالرفع والجبر، فالرفع على أنه أحد أخبار ذلكم. أو خبر مبتدأ محذوف، والجبر على: فحكمه إلى الله فاطر السموات، و﴿ذَالِكُمُ﴾ إلى ﴿أُنِيبُ﴾ اعتراض بين الصفة والموصوف ﴿جَعَلَ لَكُمْ﴾ خلق/٢/١٦٢ لكم ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ من جنسكم من الناس ﴿أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾ أي: خلق من الأنعام أزواجاً. ومعناه: وخلق للأنعام أيضاً من أنفسها أزواجاً ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ يكثركم، يقال: ذرأ الله الخلق: بثهم وكثرهم. والذر، والذرو، والذرة: أخوات. ﴿فِيهِ﴾ في هذا التدبير، وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجاً، حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل. والضمير في ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ يرجع إلى المخاطبين والأنعام، مغلباً فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل، وهي من

الأحكام ذات العلتين^(١)، فإن قلت: ما معنى يذروكم في هذا التدبير؟ وهلا قيل: يذروكم به؟ قلت: جعل هذا التدبير كالمنع والمعدن للث والتكثير؛ ألا تراك تقول: للحيوان في خلق الأزواج تكثير، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] قالوا: مثلك لا يبخل، فنفوا البخل عن مثله، وهم يريدون نفيه عن ذاته، قصدوا المبالغة في ذلك فسلخوا به طريق الكناية؛ لأنهم إذا نفوه عن مسدده وعن موافقه هو على أخص أوصافه، فقد نفوه عنه. ونظيره قولك للعربي: العرب لا تخفر الذم، كان أبلغ^(٢) من قولك: أنت لا تخفر. ومنه قولهم: قد أيفعت لذاته وبلغت أثرابه، يريدون: إيفاعه وبلوغه. وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب: «ألا وفيهم الطيب الطاهر^(٣) لذاته»

(١) قال محمود: «إن الضمير المتصل بيزرو عائد على الأنفس وعلى الأنعام مغلباً فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل، وهي من الأحكام ذات العلتين» قال أحمد: الصحيح أنهما حكمان متباينان غير متداخلين، أحدهما: مجيئه على نعت ضمير العقلاء أعم من كونه مخاطباً أو غائباً. والثاني: مجيئه بعد ذلك على نعت الخطاب، فالأول لتغليب العقل. والثاني لتغليب الخطاب.

(٢) قوله: «لا تخفر الذم كان أبلغ» في الصحاح: أخفرت، إذا نقضت عهده وغدرت به، وفيه: «أبلغ الغلام» أي: ارتفع: وهو يافع، ولا نقول: مرفع. وقوله: «كان أبلغ» لعل تقديره: فإن قلت له ذلك كان أبلغ. (ع)

(٣) قال محمود: «قول العرب: مثلك لا يبخل، فينفون البخل عن مثله، والمراد نفسه. ونظيره قولك للعربي: العرب لا تخفر الذم. ومنه قولهم: قد أيفعت لذاته وبلغت أثرابه. وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب: ألا وفيهم الطيب الطاهر لذاته، تريد طهارته وطيبه، فإذا علم أنه من باب الكناية: لم يكن فرق بين قولك: ليس كالله شيء وبين قوله: ليس كمثله شيء، إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها. ونحوه قوله تعالى: (بل يدها مبسوطتان) فإن معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط؛ لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون بها شيئاً آخر، حتى أنهم يستعملونها فيمن لا بد له؛ فكذاك استعمل هذا فيمن له مثل، وفيمن لا مثل له، ثم قال: ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررت في قول من قال: «وصاليات ككما يؤثفين».

ومن قال: «فأصبحت مثل كعصف مأكول» انتهى كلامه. قال أحمد: هذا الوجه الثاني مردود على ما فيه من الإخلال بالمعنى، وذلك أن الذي يليق هنا تأكيد نفي المماثلة، والكاف على هذا الوجه إنما تؤكد المماثلة وفرق بين تأكيد المماثلة المنفية، وبين تأكيد نفي المماثلة، فإن نفي المماثلة المهمة عن التأكيد أبلغ وأكد في المعنى من نفي المماثلة المقترنة بالتأكيد؛ إذ يلزم من نفي المماثلة غير المؤكدة نفي كل مماثلة. ولا يلزم من نفي مماثلة محققة متأكدة بالغة نفي مماثلة دونها في التحقيق والتأكيد. وحيث وردت الكاف مؤكدة للمماثلة وردت في الإثبات فأكدته، فليس النظر في الآية بهذين النظريتين مستقيماً والله أعلم. ومما يرشد إلى صحة ما ذكرته أن للقاتل أن يقول: ليس زيد شبيهاً بعمرو؛ لكن مشبهاً له، ولو عكس هذا لم يكن صحيحاً، وما ذاك إلا أنه يلزم من نفي أدنى المشابهة نفي أعلاها، ولا يلزم من نفي أعلاها نفي أدناها، فمتى أكد التشبيه قصر عن المبالغة. والوجه الأول الذي ذكره هو الوجه في الآية عنده، وأتى بمطية الضعف في هذا الوجه الثاني بقوله: ولك أن تزعم، فافهم.

(١٣٦٩) والقصد إلى طهارته وطيبه، فإذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله: ليس كالله شيء، وبين قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ إلا ما تعطيه الكناية من فائدتها، وكأنهما عبارتان معتقتان على معنى واحد: وهو نفي المماثلة عن ذاته، ونحوه قوله عز وجل: ﴿لَيْلٌ يَدَّاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] فإن معناه: بل هو جواد من غير تصوّر يد ولا بسط لها؛ لأنها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيئاً آخر، حتى إنهم استعملوها فيمن لا يد له، فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له، ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كُتِرَت للتأكيد، كما كُتِرَها من قال [من الرجز]:

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤْتَفَنِينَ^(١)

١٣٦٩ - أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٢٤/٢٥٩)، حديث برقم (٦٦١)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧٢/١)، قال الحافظ: رواه ابن عبد الرحمن بن موهب حليف بني زهرة عن أبيه: حدثني مخزومة بن نوفل بحديث سقيا عبد المطلب لكن ليس فيه الطيب الطاهر لذاته، ورواه الطبراني، وأبو نعيم في الدلائل من حديث عروة بن مصرف عن مخزومة بن نوفل عن أمه رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم، وكانت لدة عبد المطلب قال: تتابعت على قریش سنون الحديث بطوله «ورويته في جزء أبي السكين (تنبيه) وقع رقيقة بنت صيفي والصواب بنت أبي صيفي. انتهى».

(١) لم يبق من أي بها يحلین غیر رماد وعظام كشفین
وغير ود جازل أو ودين وصاليات ككما يؤتفين

لخطام المجاشعي. والآي: واحدة آية، أي: علامة. ويحلين: مضارع مبني للمجهول، من حلّيته تحلية: إذا وصفت حلّيته وصفته. يقول: لم يبق من آثار هذه الديار علامات فيها تذكر صفتها غير رماد وعظام متكاثفين متراكمين. والكثف - بالتحريك -: كسب: المجتمع، فلعلة سكنه للوزن. وروي: غير رماد وخطام كثفين. والخطام: الزمام. ويروي بالمهملة، وهو ما تحطم وتكسر من الحطب اليابس. والكثف - كحمل: وعاء الرعي فكثفين على حذف العاطف. وقيل بدل مما قبله، والأوجه روايته، وخطام كثفين بالإضافة؛ لأجل موافقة القوافي أي: ورباط وعامين، وكرر أداة الاستثناء للتوكيد. والود: أصله وتد، فقلبت التاء دالاً وأدغمت في الأخرى عند تميم شذوذاً. والجادل: المنتصب والغليظ، أي: لم يبق غير وتد منتصب بها أو وتدين لا غير، حيث لم يشك إلا في ذلك. والصاليات صفة للأنثافي. وقيل: صفة للنساء الموقدات للنار: وقيل: صفة للخيال الصاليات للحرب كالأنثافي الصاليات للنار، لكنهما لا يناسبان وصف الدار بالخلو. والأنثية: حجر الكانون، وزنها: أنغولة في الأصل، وجمعها أنثافي. وأنثيت للقدر: وضعت الأنثافي لها. وثقيتها تثفية: وضعتها على الأنثافي. وقوله: يؤتفين مضارع مبني للمجهول، جاء على الأصل مهموزاً، كيؤكر من بالهمزة، وهذا يدل على أن الصاليات صفة للأحجار الملازمات للنار المحترقات بها؛ فلعلة شبه النساء بالأنثافي لدمايتهن وسوادهن، بكثرة الدخان وملازمتهم النار. وعليه فالمعنى: ونساء صاليات كالأحجار تنفي وتوضع للقدر؛ فما موصولة واقعة على الأحجار لا مصدرية ولا كافة؛ وكرر كاف التشبيه للتوكيد، لكن الثانية اسم بمعنى مثل؛ لأن حرف الجر لا يدخل على مثله. ويمكن أنه كرر الحرف من غير إعادة المجرور شذوذاً. ويروي بعد قوله: وصاليات... الخ.

ومن قال [من الرجز]:

فَأَصْبَحَتْ مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ^(١)

لا يشتكين عملاً ما أنقين ما دام مخ في سلامي أو عين

وهو يناسب القول بأنها صفة للنساء أو الخيل على التشبيه السابق. والإنقاء: كثرة النقي بالكسر وهو المخ. يقال: أنقت الإبل إذا سمت وكثر مخها، أي: لا يشتكين عملاً مدة إنقائهن وسمنهن، وفسر ذلك بقوله: ما دام مخ... الخ والسلاميات: عظام الأصابع وهي والعين آخر ما يبقى فيه المخ. ويروى أيضاً هكذا:

أهل عرفت الدار بالغريين وصاليات ككما يؤثفين؟

والغريان: بناءن طويلان، يقال: هما قبرا مالك وعقيل: نديمي جذيمة الأبرش؛ سمياً بذلك لأن النعمان كان يغريهما بمن يريد قتله إذا خرج يوم بؤسه. والأشبه أن ذلك من تخليط الراوي، وأن الصاليات: الأحجار. وقوله: «لا يشتكين... الخ» ليس من هذا الرجز، فلا ينبغي روايته معه، وهو الذي من صفة الخيل، أو أصل النساء لا الصاليات، ويجوز أن الرجز هكذا:

أهل عرفت الدار بالغريين لم يبق من أي بها يلين

وأن قوله: «لا يشتكين... الخ» من موضع آخر من ذلك الرجز في صفة الخيل، كما رواه صاحب الكافي شاهداً على الإكفاء في القافية هكذا:

بنات وطاء على خد الليل لا يشتكين عملاً ما أنقين

لاختلاف حرفي الروي، والوطاء - بالضم والتشديد -: من الوطاء على الأرض. وخد الليل: طريقه الذي لا يسلك إلا فيه. وقال بعضهم: إن هذا في صفة الخيل، وأنه من مشطور المنسرح الموقوف. وعلى أنه في صفة أجل، أي: فلك المطايا بنات نوق أو فحول، وطاء: جمع واطيء أو واطئة، عنى خد الليل: كناية عن قوتهن في السير، حتى كأنهن يغلبن الليل، فيصرعهن ويطنّ على خده، فهن لا يبالين به.

ينظر البيت في لسان العرب (رنب)، (ثفا)، وتهذيب اللغة ١٥/١٤٩، وتاج العروس (ثفا)، (غرا)، وبلا نسبة في جهمرة اللغة ص ١٠٣٦، وكتاب العين ٨/٢٤٥، ومقاييس اللغة ١/٥٨، والمختص ٨/٧٦، ١٤/٤٩، ٦٤، ١٦/١٠٨، وديوان الأدب ٢/٣٣٥، ولسان العرب (أثف).

بالأمس كانت في رخاء مأمول فأصبحت مثل كعصف مأكول (١)

يرى لرؤية بدله:

ولعب طير بهم أبابيل فصيروا مثل كعصف مأكول

يقول: بالأمس، أي: في الزمن الماضي القريب، كانت تلك الديار مثلاً في رخاء، أي: خصب وسعة من الثروة والغنى، مأمول ذلك، أي: متمنى للناس، وكرر كلمة التشبيه للتوكيد، والعصف: ما على الحب وعلى ساق الزرع من التين والورق اليابس، مأكول: أي أصابه الأكال، وهو الدود. وأكلته الدواب ثم راتته. وأبابيل، بمعنى جماعات متفرقة، صفة طير، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه. وقيل: واحده أبول كعجول. وقيل: إبال كمفتاح. وقيل إبيل كمسكين. وقول رؤية «صيروا» بالتشديد والبناء للمجهول، ولعل هذا رجز غير ذلك.

لرؤية في ملحق ديوانه ص ١٨١، وخزانة الأدب ١٠/١٦٨، ١٧٥، ١٨٤، ١٨٩، وشرح التصريح

١/٢٥٢، وشرح شواهد المغني ١/٥٣، والمقاصد النحوية ٢/٤٠٢، ولحميد الأرقط في الدرر ٢/

٢٥٠، والكتاب ١/٤٠٨، وبلا نسبة في أوضح المسالك ٢/٥٢، والجنى الداني ص ٩٠، وخزانة =

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٢)

وقرى: «ويقدر» ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإذا علم أن الغنى خير للعباد أغناه، وإلا أفقره.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ

يَجْتَنِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (١٣)

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ﴾ دين نوح ومحمد ومن بينهما من الأنبياء، ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله: ﴿أَن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ والمراد: إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه، وبيوم الجزاء، وسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً، ولم ترد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها، فإنها مختلفة متفاوتة. قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُم شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] ومحل ﴿أَن أَقِيمُوا﴾ إما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه، وإما رفع على الاستئناف، كأنه قيل: وما ذلك المشروع؟ فقيل: هو إقامة الدين، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]. ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ عظم عليهم وشق عليهم ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من إقامة دين الله والتوحيد. ﴿يَجْتَنِي إِلَيْهِ﴾ يجتلب إليه ويجمع - والضمير للدين بالتوفيق والتسديد - ﴿مَن يَشَاءُ﴾ من ينفع فيهم توفيقه ويجرى عليهم لطفاً.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ

مُسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَن يُشَاكِكُكُمْ فِيهِ مَن يُرِيدُ﴾ (١٤)

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ يعني أهل الكتاب بعد أنبيائهم ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ﴾ أن علموا أن الفرقه ضلال وفساد، وأمر متوعد عليه على السنة الأنبياء. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وهي عدة التأخير إلى يوم القيامة ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ حين افترقوا لعظم ما اقترفوا. ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الشورى: ١٤] وهم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ ﴿لَنَن يُشَاكِكُكُمْ فِيهِ﴾ من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان. وقيل: كان الناس أمة واحدة مؤمنين بعد أن أهلك الله أهل الأرض أجمعين بالطوفان، فلما مات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم، وذلك حين بعث الله إليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم. وإنما اختلفوا للبغى بينهم. وقيل: وما تفرق أهل الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث

= الأدب ٧٣/٧، وورصف المباني ص ٢٠١، وسر صناعة الإعراب ص ٢٩٦، وشرح الأشموني ١/ ١٥٨، ولسان العرب (عصف)، ومغني اللبيب ١/ ١٨٠، والمقتضب ٤/ ١٤١، ٣٥٠، وهمع الهوامع ١/ ١٥٠، وتاج العروس (عصف).

رسول الله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْرُقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤] وَإِنَّ الَّذِينَ «أُورِثُوا» الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ هُمُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ أُورِثُوا الْقُرْآنَ مِنْ بَعْدِ مَا أُورِثَ أَهْلُ الْكِتَابِ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ. وقرئ «وَرِثُوا» وورثوا.

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ إِنَّمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنِّي كِتَابٌ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَلِذَلِكَ﴾ فلاجل ذلك التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعباً ﴿فَادْعُ﴾ إلى الاتفاق والاتلاف على الملة الحنيفية/٢/١٦٢ ب القديمة، ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ عليها وعلى الدعوة إليها كما أمرك الله، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ المختلفة الباطلة بما أنزل الله من كتاب، أي كتاب صَحَّ أَنْ اللَّهَ أَنْزَلَهُ، يعني الإيمان بجميع الكتب المنزلة؛ لِأَنَّ الْمُتَفَرِّقِينَ آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ، كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمُنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النساء: ١٥٠] إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥١] ﴿لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ في الحكم إذا تخاضعت فتحاكمتم إلي. ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ أي لا خصومة. لِأَنَّ الْحَقَّ قَدْ ظَهَرَ وَصَرَّتْهُمُ مُحْجُوبِينَ بِهِ فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْمَحَاجَةِ. ومعناه: لا إيراد حجة بيننا؛ لِأَنَّ الْمُتَحَاجِّينَ يُورَدُ هَذَا حُجَّتُهُ وَهَذَا حُجَّتُهُ. ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يوم القيامة فيفصل بيننا ويتقّم لنا منكم؛ وهذه محاجة ومشاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والإلزام. فإن قلت: كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والإجلاء؟ قلت: المراد محاجزتهم في مواقف المقاتلة لا المقاتلة.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ جَحِيشٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾

﴿يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ يخاصمون في دينه ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ ما استجاب له الناس ودخلوا في الإسلام؛ ليردّوهم إلى دين الجاهلية، كقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة: ١٠٩] كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم ^(١) وأولى بالحق. وقيل: من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الإسلام. ﴿دَاحِضَةٌ﴾ باطلة زالة.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا﴾

(١) قوله: «نحن خير منكم» لعله: «فنحن» كعبارة النسفي.

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۚ إِنَّ الَّذِينَ
يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾

﴿أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ أي جنس الكتاب، ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ والعدل والتسوية. ومعنى إنزال العدل: أنه أنزله في كتبه المنزلة. وقيل: الذي يوزن به. ﴿يَلْحَقُ﴾: ملتبساً بالحق، مقترباً به، بعيداً من الباطل، أو بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة. أو بالواجب من التحليل والتحرير وغير ذلك، ﴿السَّاعَةِ﴾ في تأويل البعث؛ فلذلك قيل: ﴿قَرِيبٌ﴾ أو لعل مجيء الساعة قريب. فإن قلت: كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع إنزال الكتاب والميزان؟ قلت: لأن الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط، فكأنه قيل: أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم، ويوفي لمن أوفى ويظفف لمن ظفف. الممارسة: الملاحة^(١)؛ لأن كل واحد منهما يمر ما عند صاحبه ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ من الحق: لأن قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله، ولدلالة الكتاب المعجز على أنها آتية لا ريب فيها، ولشهادة العقول على أنه لا بد من دار الجزاء.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾

﴿لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ بَرِّ بليغ البر بهم، قد توصل برّه إلى جميعهم، وتوصل من كل واحد منهم إلى حيث لا يبلغه، وهم أحد من كلياته وجزئياته. فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بعد توصل برّه إلى جميعهم؟ قلت: كلهم مبرورون لا يخلو أحد من برّه، إلا أن البر أصناف، وله أوصاف. والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير، فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر، ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه، فمن قسم له منهم ما لا يقسم للآخر فقد رزقه، وهو الذي أراد بقوله تعالى: ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢١٢] كما يرزق أحد الأخوين ولدًا دون الآخر، على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد. ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ الباهر القدرة، الغالب على كل شيء، ﴿الْعَزِيزُ﴾ المنيع الذي لا يغلب.

﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَمْ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ ﴿٢٠﴾

سمى ما يعمله العامل مما ينبغي به الفائدة والزكاء حرثاً على المجاز. وفرق بين عملي العاملين: بأن من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته، ومن كان عمله للدنيا

(١) قوله: «الملاحة» بالجم: التماذي في الخصومة، ويمري: أي يستخرج، كذا في الصحاح. (ع)

أعطى شيئاً منها لا ما يريده ويبتغيه . وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وما له نصيب قط في الآخرة ، ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب ، على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة ؛ للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب .

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢١)

معنى الهمزة في ﴿أَمْ﴾ التقرير والتقريع . وشركاؤهم : شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا ؛ لأنهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين ، وتعالى الله عن الإذن فيه والأمر به ، وقيل : شركاؤهم أوثانهم ، وإنما أضيفت إليهم لأنهم اتخذوها شركاء لله ١٦٣/٢ ، فتارة تضاف إليهم لهذه الملاسة . وتارة إلى الله ؛ ولما كانت سبباً لضلالتهم وافتتانهم : جعلت شارعة لدين الكفر ، كما قال إبراهيم صلوات الله عليه : ﴿إِنَّهُمْ أَشَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم : ٣٦] ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء ، أو : ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي : بين الكافرين والمؤمنين ، أو بين المشركين وشركائهم . وقرأ مسلم بن جندب «وَأَنَّ الظَّالِمِينَ» بالفتح عطفاً له على كلمة الفصل ، يعني : ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا .

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ بِهِمْ﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَشْتَكُرُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرِّفْ حَسَنَةً نَّزِدَ لَّهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ في الآخرة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين خوفاً شديداً أرق قلوبهم ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ من السيئات ، ﴿وَهُمْ وَقَعُ بِهِمْ﴾ يريد : ووباله واقع بهم وواصل إليهم لا بد لهم منه ، أشفقوا أو لم يشفقوا . كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها . ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ منصوب بالظرف لا بـ ﴿يَشَاءُونَ﴾ . قرئ : «يبشر» من بشره . ويبشر من أبشره . ويبشر ، من بشره . والأصل : ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده ، فحذف الجار ، كقوله تعالى : ﴿وَأَخْبَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ [الأعراف : ١٥٥] ثم حذف الراجع إلى الموصول ، كقوله تعالى : ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان : ٤١] أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده^(١) . روي أنه

(١) قال السمين الحلبي : قال الشيخ : وليس بظاهر إذ لم يتقدم في هذه السورة لفظ البشري ، ولا ما يدل عليه من بشر أو شبهه ، انتهى . الدر المصون .

اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض: أترون محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً؟ فنزلت الآية: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ يجوز أن يكون استثناء متصل، أي: لا أسألكم أجراً إلا هذا، وهو أن تودوا أهل قرابتي؛ ولم يكن هذا أجراً في الحقيقة؛ لأن قرابته قرابتهم، فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة. ويجوز أن يكون منقطعاً، أي: لا أسألكم أجراً قط، ولكنني أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم. فإن قلت: هلا قيل: إلا مودة القربى: أو إلا المودة للقربى. وما معنى قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النورى: ٢٣]؟ قلت: جعلوا مكاناً للمودة ومقراً لها، كقولك: لي في آل فلان مودة، ولي فيهم هوى وحب شديد، تريد: أحبهم وهم مكان حبي ومحله، وليست (في) بصلة للمودة، كاللام إذا قلت: إلا المودة للقربى. إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك: المال في الكيس. وتقديره: إلا المودة ثابتة في القربى وتمكنة^(١) فيها. والقربى: مصدر كالزلفى والبشرى، بمعنى: قرابة. والمراد في أهل القربى. وروي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: «علي وفاطمة وابناهما» (١٣٧٠) ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه: شكوت إلى رسول الله ﷺ حسد الناس لي. فقال: «أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمانلنا، وذريتنا خلف أزواجنا» (١٣٧١) وعن

١٣٧٠ - أخرجه الطبراني في معجمه (٤٤٤/١١)، حديث (١٢٢٥٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٠١/٥)، وعزه إلى ابن المنذر، وابن حاتم، وابن مردويه والطبراني، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٣٤/٣)، وزاد نسبه إلى كتاب مناقب الشافعي للحاكم. وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبراني، وابن أبي حاتم، والحاكم في مناقب الشافعي من رواية حسين الأشقر عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس، وحسين ضعيف ساقط، وقد عارضه مما هو أولى منه؛ ففي البخاري من رواية طاوس عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية؛ فقال سعيد بن جبيرة: قربي آل محمد ﷺ؛ فقال ابن عباس: عجلت. إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قریش إلا كان له فيهم قرابة - الحديث، قلت: وأخرج سعيد بن منصور من طريق الشعبي قال: «أكثرنا علينا في هذه الآية. فكتبنا إلى ابن عباس فكتب - فذكر نحوه» وابن طاوس أتم منه. انتهى.

١٣٧١ - أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٣١٩/١)، حديث برقم (٩٥٠)، وذكره القرطبي (١٦/١٦)، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٣٥/٣)، وزاد نسبه إلى الثعلبي.

(١) قال محمود: «إن قلت هلا قيل: إلا مودة القربى. أو: إلا المودة للقربى. وأجاب بأنهم جعلوا مكاناً للمودة ومقراً لها، كقولك: لي في آل فلان هوى وحب شديد، وليس (في) صلة للمودة، كاللام إذا قلت: إلا المودة للقربى؛ وإنما هي متعلقة بمحذوف تقديره: إلا المودة ثابتة في القربى وتمكنة فيها، قال أحمد: وهذا المعنى هو الذي قصد بقوله في الآية التي تقدمت؛ إن قوله: (يذروكم فيه)، إنما جاء عوضاً من قوله: يذروكم به، فافهم.

النبي ﷺ: «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وأذاني في عترتي، ومن اصطنع صنعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة» (١٣٧٢) وروي: أن الأنصار قالوا: فعلنا وفعلنا، كأنهم افتخروا، فقال عباس أو ابن عباس رضي الله عنهما: لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأتاهم في مجالسهم فقال: «يا معشر الأنصار، ألم تكونوا أدلة فأعزكم الله بي؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «ألم تكونوا ضللاً فهداكم الله بي؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «أفلا تجيبونني؟» قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: «ألا تقولون: ألم يخرجك قومك فأويناك؟ أو لم يكذبوك فصدقناك؟ أو لم يخذلوك فنصرناك؟» قال: فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله. فنزلت الآية (١٣٧٣). وقال رسول الله ﷺ: «من مات على حب آل محمد مات شهيداً» (١٣٧٤)، ألا ومن مات على

وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الكديمي عن ابن عائشة بسنده عن علي رضي الله عنه ورواه الطبراني من حديث أبي رافع أن النبي ﷺ قال لعلي: إن أول أربعة يدخلون الجنة - فذكره وسنده واحد. انتهى.

١٣٧٢ - ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/١٦)، وذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/٢٢٥ - ٢٣٣ - ٢٥٩) حديث (٢٣٦) (٢٤٠٧) (٢٥٢٤)، وقال: أخرجه الطبراني في الأوسط عن عثمان بن عفان، قال رسول الله ﷺ: «من صنع إلى أحد من ولد عبد المطلب يداً فلم يكافئه بها في الدنيا فهي مكافأته غداً إذا لقيني».

وللثعلبي في تفسيره بسند به بعض الكذابين على رفعه «من اصطنع صنعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازه عليها إذا لقيني يوم القيامة». ورواه الجماعي في تاريخ الطالبين بلفظ: «من اصطنع معروفاً إلى أحد من أهل بيتي يداً كافأته عنها يوم القيامة، وقد بينه السخاوي في استجلاء وارتقاء الغرف». قال الحافظ: أخرجه الثعلبي من حديث علي رضي الله عنه وفيه عبد الله بن أحمد بن عامر الطائفي عن أبيه وهو كذاب. انتهى.

١٣٧٣ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/١٤٤)، حديث برقم (٣٠٦٧٨)، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/٥١٥)، حديث (٣٨٧٦)، وذكره القرطبي في تفسيره (١٦/١٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٧٠١)، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/٢٣٧)، وزاد نسبه إلى الثعلبي.

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن يزيد بن أبي زياد إلا عبد السلام بن حرب، تفرد به عبد المؤمن بن علي.

وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والطبراني في الأوسط كلهم من حديث ابن عباس، وفيه يزيد بن زياد وهو ضعيف. انتهى.

١٣٧٤ - قال الحافظ: أخرجه الثعلبي أخبرنا عبد الله بن محمد بن علي البلخي ثنا يعقوب بن يوسف بن إسحاق ثنا محمد بن أسلم ثنا يعلى بن عبيد عن إسماعيل بن قيس عن جرير - بطوله وأثار الوضع عليه لائحة ومحمد وما فوقه أثبات والأفة فيه ما بين الثعلبي ومحمد. انتهى.

حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً^(١) بين عينيه: آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد/٢/١٦٣ لم يشم رائحة الجنة» وقيل: لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله ﷺ وبينهم قربي، فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت. والمعنى: إلا أن تودوني في القربي، أي: في حق القربي أو من أجلها، كما تقول: الحب في الله والبغض في الله، بمعنى: في حقه ومن أجله، يعني: أنكم قومي وأحق من أجابني وأطاعني، فإذا قد أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربي ولا تؤذوني ولا تهيجوا عليّ. وقيل: أتت الأنصار رسول الله ﷺ بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله: قد هدانا الله بك وأنت ابن أختنا وتعروك نواب وحقوق ومالك سعة، فاستعن بهذا على ما ينوبك، فنزلت، وردّه (١٣٧٥). وقيل ﴿الْقُرْبَى﴾: التقرب إلى الله تعالى، أي: إلا أن تحبوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح. وقرئ: «إلا مودة في القربي» ﴿وَمَنْ يَقْرَبْ حَسَنَةً﴾ عن السدي أنها المودة في آل رسول الله ﷺ، نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم. والظاهر: العموم في أي حسنة كانت؛ إلا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربي: دل ذلك على أنها تناولت المودة تناولاً أولياً، كأن سائر الحسنات لها توابع. وقرئ «يزد» أي: يزد الله. وزيادة حسناتها من جهة الله مضاعفتها، كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقرئ: «حسنى» وهي مصدر كالبحري، الشكور في صفة الله:

١٣٧٥ - أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٣٥٤/٦) حديث برقم (٥٧٥٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٠١/٥) وزاد نسبه إلى ابن مردويه، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٣٩/٣)، وزاد نسبه إلى ابن مردويه والثعلبي والواحد في أسباب النزول. قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن عثمان أبي اليقظان إلا نصير بن زياد، تفرد به حسين الأشقر. قال الزيلعي: غريب، وقال الحافظ ابن حجر: ذكره الثعلبي والواحد في الأسباب عن ابن عباس بغير سند. ويشبه أن يكون عن الكلبي عن أبي صالح عنه. وروى الطبراني من طريق عثمان أبي اليقظان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وأخرجه ابن مردويه عنه. انتهى.

(١) قوله: «مكتوب بين عينيه» لعله: مكتوباً.

مجاز للاعتداد بالطاعة، وتوفيه ثوابها، والتفضل على المثاب

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِأُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَوِّقُ الْحَقَّ يَكَلِّمُنِيْهُ إِنَّهُمْ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿آء﴾ منقطعة. ومعنى الهمزة فيه التوبيخ^(١)، كأنه قيل: أيتماكون أن ينسبوا مثله إلى الافتراء، ثم إلى الافتراء على الله الذي هو أعظم الفرى وأفحشها. ﴿فَإِنْ يَشِأُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ فإن يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم، حتى تفترى عليه الكذب فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم، وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله، وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم. ومثال هذا: أن يخون بعض الأمناء فيقول: لعل الله خذلني، لعل الله أعمى قلبي، وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب. وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله، والتنبيه على أنه ركب من تخوينه أمر عظيم، ثم قال: ومن عادة الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق. ﴿يَكَلِّمُنِيْهُ﴾ بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾^(٢) [الأنبياء: ١٨] يعني: لو كان مفترياً كما تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه. ويجوز أن يكون عدة لرسول الله ﷺ بأنه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب، ويثبت الحق الذي أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم، إن الله عليم بما في صدرك وصدورهم، فيجري الأمر على حسب ذلك. وعن قتادة ﴿يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾: ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي، يعني: لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك، وقيل ﴿يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾: يربط عليه بالصبر، حتى لا يشق عليك أذاهم. فإن قلت: إن كان قوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ كلاماً مبتدأ غير معطوف على يختم، فما بال الواو ساقطة في الخط؟ قلت: كما سقطت في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ [الإسراء: ١١] وقوله تعالى: ﴿سَدَّ الزَّيَاةَ﴾^(٣) [العلق: ١٨] على أنها مثبتة في بعض المصاحف.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

يقال: قبلت منه الشيء، وقبلته عنه. فمعنى قبلته منه: أخذته منه وجعلته مبدأ قبولي ومنشأه. ومعنى: قبلته عنه: عزلته عنه وأبنته عنه. والتوبة: أن يرجع عن القبيح والإخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لا يعاود؛ لأن المرجوع عنه قبيح وإخلال

(١) قوله: «ومعنى الهمزة فيه للتوبيخ» لعله: فيها.

(٢) قوله: «من البهت» أي: إتهام الإنسان بما ليس فيه.

بالواجب. وإن كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التقصي على طريقه، وروى جابر أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله ﷺ وقال: اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك، وكبر، فلما فرغ من صلاته قال له علي رضي الله عنه: يا هذا، إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة لكذابين، وتوبتك تحتاج إلى التوبة. فقال: يا أمير المؤمنين، وما التوبة؟ قال: اسم يقع على ستة معان: على الماضي من الذنوب الندامة، ولتضييع الفرائض الإعادة، وردّ المظالم، وإذابة النفس في الطاعة كما ريبتها في المعصية، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته. ﴿وَيَقْعُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ عن الكبائر إذا تيب عنها، وعن الصغائر إذا اجتنبت الكبائر. ﴿وَيَعْلَمُ مَا نَفَعُلُونَ﴾. قرئ بالناء والياء، أي: يعلمه فيثيب على حسناته، ويعاقب على سيئاته.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (٢٦)

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ١٦٤/٢ أي يستجيب لهم، فحذف اللام كما حذف في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَانُوا عَلَىٰ الْمَظْفَفِ﴾ [المطففين: ٣] أي يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم على الثواب تفضلاً، أو إذا دعوهم استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم. وقيل: الاستجابة: فعلهم، أي يستجيبون له بالطاعة إذا دعاهم إليها. ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ هو ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ على ثوابهم. وعن سعيد بن جبير: هذا من فعلهم: يجيبونه إذا دعاهم. وعن إبراهيم بن أدهم أنه قيل له: ما بالنا ندعو فلا نجاب؟ قال: لأنه دعاكم فلم تجيبوه، ثم قرأ: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَثُوا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُزِيلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ

بَصِيرٌ﴾ (٢٧)

﴿لَبَعَثُوا﴾ من البغي وهو الظلم، أي: لبغى هذا على ذاك، وذاك على هذا؛ لأن الغنى مبطرة مآشرة^(١)، وكفى بحال قارون عبرة. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام:

«أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرتها» (١٣٧٦) ولبعض العرب [من الطويل]:

١٣٧٦ - أخرجه ابن جرير الطبري (١٤٩/١١). حديث (٣٠٦٩٨)، عن قتادة، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٠٤/٥)، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٣٩/٣)، وزاد نسبه إلى الثعلبي، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه البخاري في صحيحه (٨٧/٤): كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتامى، حديث (١٤٦٥)، ومسلم في صحيحه (١٥٢/٤) كتاب الزكاة: باب تخوف =

(١) قوله: «مبطرة مآشرة» في الصحاح: الأشر: البطر. (ع).

وَقَدْ جَعَلَ الْوَسْمِيُّ يَنْبُتُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي رُومَانَ تَبْعاً وَشَوْحَطاً^(١)

يعني: أنهم أحيوا فحدثوا أنفسهم بالبغي والتفان. أو من البغي وهو البذخ والكبر، أي: لتكبروا في الأرض، وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد. وقيل: نزلت في قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى. قال خباب بن الأرت: فينا نزلت، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها (١٣٧٧) ﴿يَقْدَرُ﴾ بتقدير. يقال قدره قدرأ وقدرأ. ﴿خَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ يعرف ما تتول إليه أحوالهم، فيقدر لهم ما هو أصلح لهم وأقرب إلى جمع شملهم، فيفقر ويغني، ويمنع ويعطي، ويقبض ويبسط كما توجه به الحكمة الربانية. ولو أغناهم جميعاً لبغوا، ولو أفقرهم لهلكوا. فإن قلت: قد نرى الناس يبغي بعضهم على بعض، ومنهم مبسوط لهم، ومنهم مقبوض عنهم؛ فإن كان المبسوط لهم يبغون، فلم بسط لهم، وإن كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط، فلم شرطه؟ قلت: لا شبهة في أنَّ البغي مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب، وكلاهما سبب ظاهر للإقدام على البغي والإحجام عنه، فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الأمر إلى عكس ما عليه^(٢) الآن.

= ما يخرج من زهرة الدنيا، حديث (١٠٥٢)، والنسائي (٩٠/٥) كتاب الزكاة، باب الصدقة على اليتيم حديث (٢٥٨١). وابن ماجه (١٣٣٢/٢) كتاب الفتن: باب فتنة المال حديث برقم (٣٩٩٥)، وأحمد في مسنده (٩١/٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٠/٨) كتاب الزكاة: باب جمع المال من حله وما يتعلق بذلك (٣٢٢٥)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٤٣٦/٢)، حديث برقم (١٢٤٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٦/١١)، كتاب الجامع: باب في أصحاب الأموال، حديث (٢٠٠٢٨)، والحميدي في مسنده (٣٢٥/٢)، حديث (٧٤٠)، وقال الحافظ: أخرجه الطبري من رواية سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله - ﷺ - بهذا - وزاد: «وكان يقال: خير الرزق ما لا يطفئك ولا يلهيك» وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري، بلفظ: «إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا». انتهى.

١٣٧٧ - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/٢٥)، وذكره البغوي في تفسيره (١٢٧/٤)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٩/١٦)، والواحدي في الوسيط (٥٤/٤).

(١) يروى: وقد جعل الوسمي أول مطر السنة؛ لأنه يسم الأرض بالنبات. والنبع: شجر تتخذ منه القسي. والشوحت مثله، أي: قد يشرع المطر في إنبات الأشجار بيننا وبينهم. والمعنى: أنهم يطلبون الإقامة حتى تعظم الأشجار بينهم؛ لأنهم أغنياء لا يكثرון الارتحال كغيرهم. أو المعنى: أنهم كانوا إذا جاء الربيع وبلغت تلك الأشجار يتخذون منها الرماح والقسي، ويتحاربون. فالكلام كناية عن انتشاب الحرب بين القبيلتين، وهذا هو الذي يعطيه السياق، وذكر البنية، وتخصيص ذلك الشجر.

ينظر: لسان العرب (شحط)، تاج العروس (شحط).

(٢) قوله: «عكس ما عليه الآن» لعله: ما هو عليه.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٨)

قري: «قنطوا» بفتح النون وكسرهما ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ أي: بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب. وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له: اشتد القحط وقنط الناس (١٣٧٨) فقال: مطروا إذاً. أراد هذه الآية. ويجوز أن يريد رحمته في كل شيء، كأنه قال: ينزل الرحمة التي هي الغيث، وينشر غيرها من رحمته الواسعة. ﴿الْوَلِيُّ﴾ الذي يتولى عباده بإحسانه. ﴿الْحَمِيدُ﴾ الم محمود على ذلك يحمده أهل طاعته.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ

قَدِيرٌ﴾ (١٩)

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يجوز أن يكون مرفوعاً ومجروراً يحمل على المضاف إليه أو المضاف. فإن قلت: لم جاز ﴿فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ والدواب في الأرض وحدها؟ قلت: يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان ملتبساً ببعضه، كما يقال: بنو تميم فيهم شاعر مجيد أو شجاع بطل، وإنما هو في فخذ^(١) من أفخاذهم أو فصيلة من فصائلهم، وبنو فلان فعلوا كذا، وإنما فعله نويس منهم. ومنه قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٢٢) وإنما يخرج من الملح^(٢)، ويجوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران. فيوصفوا بالديب كما يوصف به الأناسي. ولا يبعد أن يخلق في السموات حيواناً

١٣٧٨ - أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣٠٧٠٠) وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٩١/٢)، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن الكريم (٢٠/١٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٧٠٥)، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٤٠/٣)، وزاد نسبه إلى الثعلبي، قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من طريق قتادة قال: وذكر لنا فذكره بتمامه ورواه باختصار عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين قحط المطر وقنط الناس، فقال مطروا إذاً.

(١) قوله: «فخذ» العشائر أقلها الفخذ، وفوقه البطن، ثم العمارة، ثم الفصيلة، ثم القبيلة، ثم الشعب. فهو أكثرها. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «فإن قلت: لم جاز فيها من دابة والدواب في الأرض وحدها؟ وأجاب بأنه يجوز أن ينسب الشيء إلى جميع المذكور وإن كان لبعضه، كقوله تعالى: (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وإنما يخرج من الملح... الخ» قال أحمد: إطلاق الدواب على الأناسي بعيد من عرف اللغة، فكيف في إطلاقه على الملائكة، والصواب - والله أعلم - هو الوجه الأول، وقد جاء مفسراً في غير ما آية، كقوله: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار) ثم قال: (وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة) فخص هذا الأمر بالأرض، والله أعلم.

يمشي فيها مشي الأناسي على الأرض، سبحانه الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من أصناف الخلق. ﴿إِذَا﴾ يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى: ﴿وَأَلَيْلَ إِذَا يَفْتَنَ﴾ [الليل: ١] ومنه ﴿إِذَا يَكْسَا﴾ وقال الشاعر [من الخفيف]:

وَإِذَا مَا أَشَاءَ أَبْعَثُ مِنْهَا آخِرَ اللَّيْلِ نَاشِطاً مَذْعُوراً^(١)
﴿وَمَا أَصَبَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٠) ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٣١)

في مصاحف أهل العراق ﴿فِيمَا كَسَبَتْ﴾ بإثبات الفاء على تضمين «ما» معنى الشرط. وفي مصاحف أهل المدينة ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ بغير فاء، على أَنَّ (ما) مبتدأ، وبما كسبت: خبرها من غير تضمين معنى الشرط. والآية مخصوصة بالمجرمين^(٢) ولا يمتنع أن يستوفي الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض. فأما من لا جرم له كالأنبياء والأطفال والمجانين، فهؤلاء إذا أصابهم شيء من ألم أو غيره فللعوض الموفى والمصلحة. وعن النبي ﷺ ١٦٤/٢ ب: «ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب، ولما يعفو الله عنه أكثر» (١٣٧٩) وعن بعضهم: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن

١٣٧٩ - الحديث مروي عن الحسن البصري - وقتادة والبراء. أما حديث الحسن: أخرجه البيهقي في =

(١) إذا: ظرف للمستقبل، فإذا دخل عليه الماضي كان مستقبلاً؛ أو المضارع كان نصاً في الاستقبال، وجرد من الناقصة أمراً آخر لشدة سيرها؛ فلذلك قال: منها. وأصل المعنى: أبعثها في آخر الليل كالناشط، وهو الثور الوحشي يخرج من أرض إلى أخرى، والمذعور: الخائف وهو كناية عن سريع السير جداً.

ينظر: ديوانه ص ٢٩، شرح أبيات سيبويه ١١٨/٢ وشرح المفصل لابن يعيش: ١٣٤/٨، والكتاب ٦٢/٣، والمقتضب ٥٧/٢.

(٢) قال محمود: «الآية مخصوصة بالمجرمين... الخ» قال أحمد: هذه الآية تنكسر عندها القدورية ولا يمكنهم ترويح حيلة في صرفها عن مقتضى نصها، فإنهم حملوا قوله تعالى: (ويعفو ما دون ذلك لمن يشاء) على التائب، وهو غير ممكن لهم ههنا؛ فإنه قد أثبت التبعض في العفو، ومحال عندهم أن يكون العفو هنا مقروناً بالتوبة، فإنه يلزم تبعض التوبة أيضاً. وهي عندهم لا تبعض. وكذلك نقل الإمام عن أبي هاشم وهو رأس الاعتزال والذي تولى كبره منهم. فلا محمل لها إلا الحق الذي لا مرية فيه، وهو مرد العفو إلى مشيئة الله تعالى غير موقوف على التوبة. وقول الزمخشري: إن الآلام التي تصيب الأطفال والمجانين لها أعواض، وإنما يريد به وجوب العوض على الله تعالى على سياق معتقده، وقد أخطأ في الأصل والفرع؛ لأن المعتزلة وإن أخطأت في إيجاب العوض، فلم تقل بإيجابه في الأطفال والمجانين. ألا ترى أن القاضي أبا بكر ألزمهم قبح إيلاهم البهائم والأطفال والمجانين فقال: لا أعواض لها، وليس مترتباً على استحقات سابق فيحسن، فإنما يتم إلزامه بموافقتهم له على أن لا أعواض لها.

والمصائب باكتسابه. وأن ما عفا عنه مولاه أكثر: كان قليل النظر في إحسان ربه إليه. وعن آخر: العبد ملازم للجنايات في كل أوان، وجناياته في طاعاته أكثر من جنائياته في معاصيه؛ لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه، والله يطهر عبده من جنائياته بأنواع من المصائب؛ ليخفف عنه أثقاله في القيامة، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة، وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه: «من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة» (١٣٨٠) وعنه رضي الله

= شعب الإيمان (١٥٣/٧): باب في الصبر على المصائب: فصل في ذكر ما في الأوجاع والأمراض والمصيبات من الكفارات، حديث (٩٨١٦)، وهناه في الذهب (٣٤٩/١): باب ما جاء في العقوبة في الدنيا حديث (٤٣١). وعبد الرزاق في التفسير (١٩٢/٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٠٦/٥).

وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم كلهم عن الحسن البصري مرسلًا. أما حديث قتادة:

فقد أخرجه الطبري في تفسيره (١٥٠/١١) حديث (٣٠٧٠٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/١٥٢): باب في الصبر على المصائب: فصل في ما في الأوجاع والأمراض والمصيبات من الكفارات، حديث (٩٨١٥).

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٠٦/٢٢)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر. وأما حديث البراء:

أورده السيوطي في الجامع الصغير (٤٩٢/٥ - فيض) حديث (٨٠٨١). وعزاه لابن عساكر. ورمز لضعفه.

وذكره في الدر المنثور (٧٠٦/٥)، وعزاه إلى ابن مردويه، وأورده السيوطي أيضاً في الجامع الصغير (٤١٤/٥)، بلفظ: «ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب - وما يدفع الله أكثر». ورمز لصحته وعزاه إلى الطبراني في الأوسط والضياء، قال الحافظ ابن حجر: أخرجه عبد الرزاق، وابن أبي حاتم من طريق إسماعيل بن سليم عن الحسن والطبري والبيهقي في أواخر الشعب. عن قتادة كلاهما مرسل. ووصله عبد الرزاق من رواية الصلت بن بهرام عن أبي وائل عن البراء رضي الله عنه. انتهى.

١٣٨٠ - أخرجه الترمذي (١٦/٥): بكتاب الإيمان: باب ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن، حديث (٢٦٢٦)، وابن ماجه (٨٦٨/٢): كتاب الحدود: باب الحد كفارة، حديث (٢٦٠٤)، وأحمد (١/٩٩). وأبو يعلى (٣٥١/١)، حديث (٤٥٣)، والدارقطني في سننه (٢١٥/٣): كتاب الحدود (٣/٤٠٣)، و(٤٥٣)، حديث (٦٠٨). وعبد بن حميد (ص ٥٨): حديث (٨٧). والحاكم في المستدرک (٤٤٥/٢): كتاب التفسير. والبيهقي في شعب الإيمان (٤٢٣/٥)، حديث (٧١٣٥).

وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف: (٢٤١/٣)، وزاد نسبته إلى ابن مردويه، والبخاري وإسحاق بن راهويه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخان ولم يخرجاه. قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن ماجه من رواية أبي جحيفة عن علي رفعه. بلفظ: من أصاب ذنباً في الدنيا فعوقب به، فالله أعدل من أن يشي على عبد عقوبته. ومن أذنب ذنباً فستر الله عليه وعفا عنه - فالله أكرم من أن يعود في شيء عفا عنه، ورواه أحمد والبخاري والدارقطني والبيهقي في الشعب في السابغ

عنه: هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن. ﴿بِمُعْجِزَاتِهِ﴾ بفائتين ما قضي عليكم من المصائب. ﴿مِنْ قَوْلِهِ﴾ من متول بالرحمة.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ﴾ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣٣) أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعَفُّ عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٤)

﴿الْجَوَارِ﴾ السفن. وقرئ «الجوار» ﴿كَالْأَغْلَامِ﴾ كالجبال. قالت الخنساء [من البسيط]:

..... كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارٌ^(١)

وقرئ «الرياح فيظللن» بفتح اللام وكسرهما؛ من ظل يظل ويظل، نحو: ظل يضل ويضل^(٢) ﴿رَوَاكِدَ﴾ ثوابت لا تجري. ﴿عَلَى ظَهْرِهِ﴾ على ظهر البحر^(٣). ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على

= والأربعين. وقال إسحاق في مسنده: أخبرنا عيسى بن يونس عن إسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصفر عن يونس بن حبان عن علي نحوه وفيه انقطاع. انتهى.

(١) وإن صخوراً لمولانا وسيدنا وإن صخوراً إذا يشتلو لنحار كأنه علم في رأسه نار

للخنساء ترثي أخاها. ويشتلو: أي يدخل في الشتاء، وهو حكاية حال ماضية. ونحار: كثير نحر الإبل للضيفان كناية عن كثرة كرمه. والأغر: الأبيض. والأبلج: الطلق الوجه المعروف. والهداة: جمع هاد: من يتقدم غيره ليدله، والعلم: الجبل: وفي رأسه نار: صفة علم جاءت لترسيخ التشبيه وتقريبه، والمبالغة في توضيح المشبه وتشهيره، وعادة دليل الركب: الاهتداء إلى الطريق بالجبال الشامخة، فإذا كان فوقها نار: علم أن أهلها كرام. ويرى:

وإن صخوراً لتأتم الهداة به

(٢) ينظر: ديوانها ص ٣٨٦، جمهرة اللغة من ٩٤٨، وتاج العروس: (صخر)، ومقاييس اللغة ٣٠٩/٤. قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وليس كما ذكر؛ لأنَّ يَضِلُّ بفتح العين من ضَلَلْتُ بكسرهما في الماضي، ويضِلُّ بالكسر من ضَلَلْتُ بالفتح، وكلاهما مقيس، يعني: أن كلا منهما له أضل يرجع إليه بخلاف ظَلَّ فإنَّ ماضيه مكسور العين فقط والنون اسمها و«رَوَاكِدَ» خبرها، ويجوز أن يكون ظَلَّ هنا بمعنى صار؛ لأن المعنى ليس على وَقْتِ الظُّلِّ هو النهار فقط، وهو نظير «أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ» من هذه الحَنَنِيَّة والرُّكُودُ: الثبوت والاستقرار قال [من الطويل]:

وَقَدْ رَكَدَتْ وَسَطَ السَّمَاءِ نُجُومُهَا رُكُوداً بِوَادِي الرُّنْزَبِ الْمُتَفَرِّقِ

وقال الشيخ: ولا يتعيَّن أن يكون التقدير أو يعصفها فيغرقن؛ لأنَّ إغلاك السفن لا يتعيَّن أن يكون بعصف الرياح بل قد يهلكها بقلع لُوح أو خَسْفٍ. قُلْتُ: والزمخشري لم يذكر أنَّ ذلك متعيَّن، وإنما ذَكَرَ سبباً مناسباً؛ لأنَّ قوله: «يُسْكِنِ الرِّيحُ» يقابله يُعَصِّفُهَا فهو في غاية الحُسْنِ والطَّبَاقِ. انتهى. الدر المصون.

(٣) قال محمود: «معناه ثوابت لا تجري على ظهر البحر» قال أحمد: وهم يقولون: إنَّ الرياح لم ترد في القرآن إلا عذاباً، بخلاف الرياح. وهذه الآية تخرم الإطلاق، فإنَّ الرياح المذكورة هنا نعمة =

بلاء الله ﴿شَكَرٌ﴾ لنعمائه، وهما صفتا المؤمن المخلص، فجعلهما كناية عنه، وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله، فهو يستملي منها العبر. ﴿يُوقِنُ﴾ يهلكهن. والمعنى: أنه إن يشأ يبتلي المسافرين في البحر بإحدى بلتين: إما أن يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري، وإما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن إغراقاً بسبب ما كسبوا من الذنوب. ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ منها، فإن قلت: علام عطف يوبقهن؟ قلت: على يسكن؛ لأنَّ المعنى: إن يشأ يسكن الريح فيركدن. أو يعصفها فيغرقن بعصفها. فإن قلت: فما معنى إدخال العفو في حكم الإيباق حيث جزم جزمه؟ قلت: معناه: أو إن يشأ يهلك ناساً وينج ناساً على طريق العفو عنهم. فإن قلت: فمن قرأ «ويعفو»؟ قلت: قد استأنف الكلام.

﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا هُمْ مِنْ نَجِيسٍ﴾

فإن قلت: فما وجوه القراءات الثلاث في ﴿وَيَعْلَمُ﴾؟ قلت: أما الجزم فعلى ظاهر العطف، وأما الرفع فعلى الاستئناف، وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره: ليعتقم منهم ويعلم الذين يجادلون، ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن، منه قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْجِلَنَّ آيَةَ لِلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١] وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَشَجَرَيْنِ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الباقية: ٢٢]، وأما قول الزجاج: النصب على إضمار أن؛ لأنَّ قبلها جزاء، تقول: ما تصنع أصنع مثله وأكرمك وإن شئت وأكرمك، على تأويل: وأنا أكرمك. وإن شئت وأكرمك جزماً - ففيه نظر لما أورده سيويه في كتابه. قال: واعلم أنَّ النصب بالفاء والواو في قوله: إن تأتني آتك وأعطيك: ضعيف، وهو نحو من قوله [من الوافر]:

..... وَأَلْحَقْ بِالْحِجَازِ فَأَسْتَرِيحَا^(١)

فهذا يجوز، وليس بحدّ الكلام فيه ولا وجهه، إلا أنه في الجزاء صار أقوى قليلاً؛ لأنه ليس بواجب أنه يفعل، إلا أن يكون من الأول فعل، فلما ضارع الذي لا يوجب كالاستفهام ونحوه: أجازوا فيه هذا على ضعفه، اهـ. ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحدّ الكلام ولا وجهه، ولو كانت من هذا الباب لما

== ورحة؛ إذ بواسطتها يسير الله السفن في البحر حتى لو سكنت لركدت السفن، ولا ينكر أن الغالب من ورودها مفردة ما ذكره. وأما اطراده فلا. وما ورد في الحديث: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها رياحاً». فلاجل الغالب في الإطلاق، والله أعلم.

أخلى سبويه منها كتابه، وقد ذكر نظائرها من الآيات المشككة. فإن قلت: فكيف يصح المعنى على جزم ﴿وَيَعْلَمَ﴾؟ قلت: كأنه قال: أو إن يشأ يجمع بين ثلاثة أمور: هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين. ﴿تَنْصِيرٌ﴾ من محيد عن عقابه.

﴿فَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَلَنُحْيِيَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣٦)

﴿ما﴾ الأولى ضمنت معنى الشرط، فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية. عن علي رضي الله عنه: اجتمع لأبي بكر رضي الله عنه سال فتصدق به كله في سبيل الله والخير، فلامه المسلمون وخطأه الكافرون، فنزلت.

﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُمْ يَقْفِرُونَ﴾ (٣٧)

﴿وَالَّذِينَ يَخْتَفُونَ﴾ عطف على الذين آمنوا، وكذلك ما بعده. ومعنى ﴿كَثِيرَ الْإِثْمِ﴾ الكبائر من هذا الجنس. وقرئ «كبير الإثم» عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه: كبير الإثم هو الشرك. ﴿هُمْ يَقْفِرُونَ﴾ أي هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب، لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس، والمجيء بهم وإيقاعه مبتدأ، وإسناد ﴿يَقْفِرُونَ﴾ إليه لهذه الفائدة، ومثله: ﴿هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩].

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٣٨)

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ نزلت في الأنصار: دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته، فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ وأتموا الصلوات الخمس. ١٦٥/٢ وكانوا قبل الإسلام وقبل مقدم رسول الله ﷺ المدينة: إذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا، فأثنى الله عليهم، أي: لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه. وعن الحسن: «ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم» (١٣٨١) والشورى: مصدر كالفتيا، بمعنى التشاور. ومعنى قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ أي ذو شورى، وكذلك قولهم: ترك رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة شورى.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ (٣٩)

١٣٨١ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٨١/٢). باب المشورة وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٨/٥): كتاب الأدب باب في المشورة من أمر بها، حديث (٢٦٢٧٥)، وذكره المصنف مرفوعاً في سورة آل عمران وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري في الأدب وعبد الله بن أحمد في زيادات الزهد وقد ذكره المصنف مرفوعاً في آل عمران. انتهى.

هو أن يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا. وعن النخعي أنه كان إذا قرأها قال: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترء عليهم الفساق. فإن قلت: أهم محمودون على الانتصار؟ قلت: نعم؛ لأن من أخذ حقه غير متعد حد الله وما أمر به فلم يسرف في القتل إن كان ولي دم أورد على سفيه، محاماة على عرضه وردعا له، فهو مطيع. وكل مطيع محمود.

﴿وَجَزَّاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الضَّالِّينَ﴾ (١)

كلتا الفعلتين: الأولى وجزاؤها سيئة؛ لأنها تسوء من تنزل به. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [النساء: ٧٨]: يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا. والمعنى: أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة، فإذا قال: أخزأك الله قال: أخزأك الله، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ بينه وبين خصمه بالعفو والإغضاء. كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، ﴿فَأَجْرُ عَلَى اللَّهِ﴾ عدة مبهمة لا يقاس أمرها في العظم. وقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الضَّالِّينَ﴾ دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة^(١) والاعتداء خصوصاً في حال الحرد^(٢) والتهاب الحمية، فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر. وعن النبي ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان له على الله أجر فليقم. قال: فيقوم خلق، فيقال لهم: ما أجركم على الله؟ فيقولون: نحن الذين عفونا عمن ظلمنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة بإذن الله» (١٣٨٢).

١٣٨٢ - الحديث مروي عن أنس، وعبد الله بن عمرو، وأبي هريرة وابن عباس، ومحمد بن المنكدر، والحسن. وأما حديث أنس فقد أخرجه: البيهقي في شعب الإيمان (٣١٥/٦) باب في حسن الخلق: فصل في ترك الغضب، حديث (٨٣١٣) وأبو نعيم في الحلية (١٨٧/٦)، والطبراني في معجم الأئمة (ص ٣٣١)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٤٤٧/٣)، حديث (١٤٩٨)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢٧٥/٣): كتاب الحدود وغيرها: باب الترغيب في العفو عن القاتل والجاني والظالم... حديث (٣٦٣٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٠٩/٥)، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه، قال أبو نعيم: غريب من حديث الحسن، تفرد به الفضل عن غالب.

(١) قال محمود: «فيه دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه... الخ» قال أحمد: معنى حسن يجاب به عن قول القاتل: لم ذكر هذا عقب العفو مع أن الانتصار ليس بظلم؛ فيشفي غليل السائل ويحصل منه على كل طائل. ومن هذا النمط والله الموفق: قوله تعالى: (وإذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور).

(٢) قوله: «الحرد» في الصحاح: «الحرد» بالتحريك: الغضب. (ع)

﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مَن سَبِيلٍ﴾ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ
وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤٢)

﴿بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول، وتفسره قراءة من قرأ «بعد ما ظلم»
﴿فَأُولَئِكَ﴾ إشارة إلى معنى (من) دون لفظه. ﴿مَا عَلَيْهِمْ مَن سَبِيلٍ﴾ للمعاقب ولا للعائب
والعائب. ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ يبتدئونهم بالظلم. ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يتكبرون
فيها ويعلمون ويفسدون.

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٤٣)

وفي إسناده الفضل بن يسار قال عنه العقيلي: لا يتابع من وجه يثبت. هذا ويروى بغير هذا الإسناد
من وجه أصح من هذا..

أما حديث عبد الله بن عمرو:

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٦٣/٦) باب في حسن الخلق: فصل في التجاوز والعفو وترك
المكافأة، حديث (٨٠٨٦)، وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤/٣٩٤): كتاب الفتن: باب
شفاعة المؤمنين، حديث (٤٦٦٣)، وعزاه لأبي يعلى، وقال: ضعيف.
وقال البيهقي: هذا متن غريب، وفي إسناده ضعف.

- حديث أبي هريرة:

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٢٠/٦) باب في حسن الخلق: فصل في ترك الغضب حديث
(٨٣٣٠).

والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/٢٦٥): حديث (١٢٧٢).

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٧٠٩)، وزاد نسبه إلى ابن مردويه. وفيه عمرو بن حمزة
القيسي. قال العقيلي: لا يتابع على حديثه.

- حديث ابن عباس:

ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٧٠٩) وعزاه إلى ابن مردويه.

والزليعي في تخريج الكشاف (٣/٢٤٣)، وزاد نسبه إلى الثعلبي.

- حديث الحسن:

ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٧٠٩)، وعزاه إلى ابن مردويه.

- حديث محمد بن المنكدر:

ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٧٠٩)، وعزاه إلى ابن المنذر وسعيد بن منصور.

وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه العقيلي والطبراني في مكارم الأخلاق وأبو نعيم في الحلية،
والبيهقي في الشعب في السابع والخمسين كلهم من طريق الفضل بن يسار عن غالب العطار عن
الحسن بن أنس رفعه. قال: «إذا وقف العبد للحساب ينادي مناد: من كان أجره على الله فليدخل
الجنة... الحديث»، وله طريق أخرى عند الثعلبي من رواية زهير بن عباد عن ابن عيينة عن عمرو
عن ابن عباس. وأخرى عن البيهقي من رواية الثوري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أتم منه
- قال البيهقي: المتن غريب - والإسناد ضعيف. انتهى.

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ على الظلم والأذى ﴿وَعَفَرَ﴾ ولم ينتصر وفوض أمره إلى الله ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ منه ﴿لَيْنٌ عَزِيزٌ الْأَمْرُ﴾ وحذف الراجع لأنه مفهوم، كما حذف من قولهم: السمن منوان بدرهم. ويحكى أن رجلاً سب رجلاً في مجلس الحسن رحمه الله، فكان المسبوب يكظم، ويعرق فيمسح العرق، ثم قام فتلا هذه الآية، فقال الحسن: عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون. وقالوا: العفو مندوب إليه، ثم الأمر قد ينعكس في بعض الأحوال، فيرجع ترك العفو مندوباً إليه، وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي، وقطع مادة الأذى. وعن النبي ﷺ ما يدل عليه وهو: أن زينب أسمعت عائشة بحضرته، وكان ينهاها فلا تنتهي، فقال لعائشة: «دونك فانتصري» (١٣٨٣).

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لُمْ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُوتَ هَلْ لَنَا إِلَىٰ مَرَّةٍ مِّن سَبِيلٍ﴾

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ ومن يخذله الله^(١) ﴿فَمَا لُمْ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه.

١٣٨٣ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص ١٦٤): الجزء الرابع باب من انتصر من بعد ظلمه. حديث (٥٥٨).

وأبو داود (٢٧٥/٢): كتاب الأدب: باب الانتصار حديث (٤٨٩٨). والنسائي في السنن الكبرى (٢٨١/٥) كتاب عشرة النساء: باب حب الرجل نساء أكثر من بعض، حديث (٨٨٩٢)، (٨٨٩٣)، (٨٨٩٤)، وفي التفسير (٢٦٩/٢)، حديث (٤٩٦)، وابن ماجه (١/٦٣٧): كتاب النكاح: باب حسن المعاشرة (١٩٨١). وأحمد في مسنده (٩٣/٦). وابن جرير الطبري (١٥٦/١١)، حديث (٣٠٧٢٩).

وذكره الهيثمي في «المجمع» (٣٢٤/٤) لكنه جعل مكان زينب بنت جحش أم سلمة - وقال: رواه أبو داود غير أنه جعل مكان أم سلمة زينب بنت جحش، وذكره ابن كثير في تفسيره (١١٩/٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧٠٨/٥)، وزاد نسبه إلى ابن مردويه. وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٤٤/٣)، وزاد نسبه إلى ابن عدي في الكامل، وابن أبي شيبه في مسنده. قال الهيثمي: رواه أحمد، وفيه علي بن زيد وفيه ضعف.

قال الحافظ ابن حجر: أخرجه النسائي من رواية خالد بن مسلمة عن عروة عن عائشة قالت: ما علمت حتى دخلت على زينب بغير إذن وهي بمعنى. فذكر نحوه. ولم يذكر فيه النهي. ولفظه: ودخل علي رسول الله ﷺ - وعندنا زينب بنت جحش - إلى أن قال: فأقبلت زينب بهجم لعائشة فنهاها رسول الله ﷺ - فأبت أن تنتهي. قال: لعائشة سبيها فغلبتها. انتهى.

(١) قوله: «ومن يخذل الله فما له من ولي» تأويل على مذهب المعتزلة: أنه تعالى لا يخلق الشر. وعند أهل السنة: يخلقه كالخير، فالإضلال خلق الضلال. ومن بعده: أي من بعد إضلاله. (ع)

﴿وَرَنَّهُمْ يُعْرِضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ
الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ
مُفِيرٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ
سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾

﴿خَشِيعِينَ﴾ متضائلين متقاصرين مما يلحقهم ﴿مِنَ الدَّلِّ﴾ وقد يعلق ﴿مِنَ الدَّلِّ﴾
يَنْظُرُونَ﴾، ويوقف على ﴿خَشِيعِينَ﴾ ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾ أي يبتدئ نظرهم من
تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة، كما ترى المصبور ينظر إلى السيف (١) وهكذا
نظر الناظر إلى المكاره: لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملا عينيه منها، كما يفعل في
نظره إلى المحاب. وقيل: يحشرون عمياً فلا ينظرون إلا بقلوبهم. وذلك نظر من طرف
خفي. وفيه تعسف. ﴿يَوْمَ﴾ إما أن يتعلق بخسروا، ويكون قول المؤمنين واقعاً في الدنيا،
وإما أن يتعلق بقال، أي: يقولون يوم القيامة إذا رأوهم على تلك الصفة.

﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا
لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿مِنْ اللَّهِ﴾ «من» صلة «لا مرد»، أي: لا يرده الله بعدما حكم به. أو من صلة
يأتي، أي: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على رده. والنكير: الإنكار، أي: ما
لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون ١٦٥/٢ ب أن تنكروا شيئاً مما اقترفتموه ودون
في صحائف أعمالكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظْتُ أَنْ عَلَىكَ إِلَّا الْبَلَاءُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا
رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

أراد بالإنسان الجمع لا الواحد؛ لقوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ ولم يرد إلا المجرمين؛
لأن إصابة السيئة بما قدّمت أيديهم إنما تستقيم فيهم. والرحمة: النعمة من الصحة والغنى
والأمن. والسيئة: البلاء من المرض والفقر والمخاوف. والكفور: البليغ الكفران، ولم
يقُل: فإنه كفور؛ ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم (٢)، كما قال: ﴿إِنْ

(١) قوله: «كما ترى المصبور ينظر إلى السيف» أي: المحبوس للقتل. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «لم يقل: فإنه كفور؛ ليسجل على هذا الجنس أنه موسوم بكفران النعم... الخ» قال
أحمد: وقد أغفل هذه النكتة بعينها في الآية التي قبل هذه، وهي قوله تعالى: (وقال الذين آمنوا إن =

الْإِنْسَانَ لَقَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿وَأَلَّا يَنْسَنَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٣٥﴾﴾ [العاديات: ٦] والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغفلها^(١).

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٣٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

لما ذكر إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدّها: أتبع ذلك أنّ له الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد، ويهب لعباده من الأولاد ما تقتضيه مشيئته، فيخص بعضاً بالإناث وبعضاً بالذكور، وبعضاً بالصنفين جميعاً، ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولداً قط. فإن قلت: لم قدّم الإناث أولاً على الذكور مع تقدّمهم عليهنّ، ثم رجع فقّدّمهم، ولم عرف الذكور بعد ما نكر الإناث؟ قلت: لأنه ذكر البلاء في آخر الآية الأولى وكفران الإنسان بنسيان الرحمة السابقة عنده، ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد، فقّدّم الإناث، لأنّ سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم، والأهم واجب التقديم، وليلي الجنس الذي كانت العرب تعدّه بلاء ذكر البلاء، وآخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم - وهم أحقاء بالتقديم - بتعريفهم؛ لأن التعريف تنويه وتشهير، كأنه قال: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير، وعرف أن تقديمهنّ لم يكن لتقدمهنّ، ولكن لمقتض آخر فقال: ﴿وَكُرَّانًا وَإِنثًا﴾ كما قال: ﴿فَمَا خَلَّيْتُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿فَمَلَأْنَاهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [النبأ: ٣٩] وقيل: نزلت في الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، حيث وهب لشعيب ولوط إناثاً، ولإبراهيم ذكوراً، ولمحمد ذكوراً وإناثاً، وجعل يحيى وعيسى عقيمين. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمصالح العباد، ﴿قَدِيرٌ﴾ على تكوين ما يصلحهم.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ وما صح لأحد من البشر ﴿أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا﴾ على ثلاثة أوجه: إما

= الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا إن الظالمين في عذاب مقيم) فوضع الظالمين موضع الضمير الذي كان من حقه أن يعود على اسم إن، فيقال: ألا إنهم في عذاب مقيم، فأتى هذا الظاهر تسجيلاً عليهم بلسان ظلمهم.

(١) قوله: «وينسى النعم ويغفلها» يطررها ويحقرها. أفاده الصحاح. (ع)

على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف في القلب أو المنام، كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده. وعن مجاهد: أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره. قال عبيدة بن الأبرص [من الطويل]:

وَأَوْحَى إِلَيَّ اللَّهُ أَنْ قَدْ تَأْمُرُوا بِبَابِلِ أَبِي أَوْقَى فَقُمْتُ عَلَى رِجْلِ^(١)
أي: ألهمني وقذف في قلبي. وإما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام، من غير أن يبصر السامع من يكلمه؛ لأنه في ذاته غير مرئي^(٢). وقوله: ﴿وَرَأَى حِجَابٌ﴾ مثل أي، كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب، فيسمع صوته ولا يرى شخصه، وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة. وإما على أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك إليه كما كلم الأنبياء غير موسى. وقيل: وحيًا كما أوحى إلى الرسل بواسطة الملائكة. ﴿وَزُرِّيَ رَسُولًا﴾ أي نبيا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم. و﴿وَحَيًّا﴾، و﴿يُرْسِلُ﴾: مصدران واقعان موقع الحال؛ لأن ﴿يُرْسِلُ﴾، في معنى إرسالاً. ومن وراء حجاب: ظرف واقع موقع الحال أيضاً، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى جُثُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] والتقدير: وما صح أن يكلم أحداً إلا موحياً، أو مسمعا من وراء حجاب، أو مرسلًا. ويجوز أن يكون ﴿وَحَيًّا﴾، موضوعاً موضع: كلاماً؛ لأن الوحي كلام خفي في سرعة، كما تقول: لا أكلمه إلا جهراً وإلا خفائاً؛ لأن الجهر والخفات ضربان من الكلام، وكذلك إرسالاً: جعل الكلام على لسان الرسول بغير واسطة، تقول: قلت لفلان كذا، وإنما قاله وكيلك أو رسولك. وقوله: ﴿وَرَأَى حِجَابٌ﴾ معناه: أو إسماعاً من وراء حجاب؛ ومن جعل ﴿وَحَيًّا﴾ في معنى: أن يوحي، وعطف ﴿يُرْسِلُ﴾ عليه، على معنى ﴿وَمَا كَانَ يُبَشِّرُ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحَيًّا﴾ أي: إلا بأن يوحي. أو بأن يرسل، فعليه أن يقدر قوله: ﴿وَرَأَى حِجَابٌ﴾ تقديرًا يطابقهما عليه، نحو: أو أن يسمع^(٣) من وراء حجاب. وقرئ ﴿وَزُرِّيَ رَسُولًا فَيُوحِي﴾ بالرفع، على: أو هو يرسل. أو بمعنى مرسلًا عطفاً على ﴿وَحَيًّا﴾ في معنى موحياً. وروي أن اليهود ١١٦٦/٢ قالت للنبي ﷺ:

(١) أي ألهمني الله وألقى في قلبي: أنهم تأمروا. وأن مخففة من الثقيلة، واسمها: ضمير القوم أو الحال والشأن. واختار أبو حيان أنها لا اسم لها إذا خففت؛ لأنها مهمله. وإن ضمن «أوحى» معنى: قال: فإن تفسيرية، أي، قد تأمروا بوزن تفاعلوا، أي: تشاوروا في الأمر، أو أجمعوا أمرهم. ومنه (يأتَمرون بك ليقتلوك) بابل أبي أوفى ليقتصبوها، فقتت في طلبهم لأردّها على رجل واحدة، أي: بسرعة، فلا أضع رجلي معاً في الأرض.

(٢) قوله: «لأنه في ذاته غير مرئي» أي: لا تجوز رؤيته. وهذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فتجوز كما تقرر في محله. (ع)

(٣) قوله: «أو أن يسمع من وراء حجاب» لعله: أو بأن. (ع)

ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه، فإننا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك، فقال: لم ينظر موسى إلى الله (١٣٨٤)، فنزلت. وعن عائشة رضي الله عنها: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية (١٣٨٥)، ثم قالت: أو لم تسمعوا ربكم يقول: فتلّت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا عَلَىٰ﴾ عن صفات المخلوقين ﴿حَكِيمٌ﴾ يجري أفعاله على موجب الحكمة، فيكلم تارة بواسطة، وأخرى بغير واسطة: إما إلهاماً، وإما خطاباً.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ يَلَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ لَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ يريد: ما أوحى إليه؛ لأن الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد بالروح. فإن قلت: قد علم أن رسول الله ^(١) ﷺ: ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله

١٣٨٤ - قال: الحافظ ابن حجر: لم أجده. انتهى.

١٣٨٥ - أخرجه البخاري في صحيحه (٤٥٩/٦): كتاب بدء الخلق: باب إذا قال أحدهم: آمين، والملائكة في السماء فوافقت إحداهما... حديث (٣٢٣٤) من طريق محمد بن عبد الله بن إسماعيل حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن ابن عون أنبأنا القاسم عن عائشة. وأخرجه البخاري (٥٨٧/٩): كتاب التفسير: باب - والنجم، حديث (٤٨٥٥).

(١) قال محمود: «فإن قلت: قد علم أن النبي عليه الصلاة والسلام ما كان يدري الكتاب قبل الوحي... الخ» قال أحمد: لما كان معتقد الزمخشري أن الإيمان اسم التصديق مضافاً إليه كثير من الطاعات فعلاً وتركاً حتى لا يتناول الموحد العاصي ولو بكبيرة واحدة اسم الإيمان ولا يناله وعد المؤمنين. وتفتن لإمكان الاستدلال على صحة معتقده بهذه الآية: عدها فرصة لينتهزها وغنيمة. ليحرزها، وأبعد الظن بإيراده مذهب أهل السنة على صورة السؤال ليجيب عنه بمقتضى معتقده، فكانه يقول: لو كان الإيمان وهو مجرد التوحيد والتصديق كما قول أهل السنة، للزم أن ينفي عن النبي عليه الصلاة والسلام قبل المبعث بهذه الآية كونه مصدقاً، ولما كان التصديق ثابتاً للنبي عليه الصلاة والسلام قبل المبعث باتفاق الفريقين: لزم أن لا يكون الإيمان المنفي في الآية عبارة عما اتفق على ثبوته، وحينئذ يتعين صرفه إلى مجموع أشياء: من جملتها التصديق، ومن جملتها كثير من الطاعات التي لم تعلم إلا بالوحي، وحينئذ يستقيم نفيه قبل المبعث. وهذا الذي طمع فيه: يخرط القتلاد، ولا يبلغ منه ما أراد. وذلك أن أهل السنة وإن قالوا: إن الإيمان هو التصديق خاصة حتى يتصف به كل موحد وإن كان فاسقاً - يخصون التصديق بالله وبرسوله، فالنبي عليه الصلاة والسلام مخاطب في الإيمان بالتصديق برسالة نفسه، كما أن أمته مخاطبون بتصديقه، ولا شك أنه قبل الوحي لم يكن يعلم أنه رسول الله، وما علم ذلك إلا بالوحي، وإذا كان الإيمان عند أهل السنة هو التصديق بالله ورسوله، ولم يكن هذا المجموع ثابتاً قبل الوحي، بل كان الثابت هو التصديق بالله تعالى خاصة: استقام نفي الإيمان قبل الوحي على هذه الطريقة الواضحة، والله أعلم.

عليه؛ فما معنى قوله: ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ والأنبياء لا يجوز عليهم إذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده، ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده، فكيف لا يعصمون من الكفر؟ قلت: الإيمان اسم يتناول أشياء: بعضها الطريق إليه العقل، وبعضها الطريق إليه السمع، فعنى به ما الطريق إليه السمع دون العقل؛ وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي. ألا ترى أنه قد فسر الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] بالصلاة؛ لأنها بعض ما يتناوله الإيمان. ﴿مَنْ نَشَأْ مِنْ عَبْدًا﴾ من له لطف ومن لا لطف له، فلا هداية تجدي عليه. ﴿صِرَاطَ اللَّهِ﴾ بدل. وقرئ «لِتَهْدَى» أي: يهديك الله. وقرئ «للدعو».

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿حَمْدَ﴾ ﴿عَسَقَ﴾ ﴿١﴾ كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له» (١٣٨٦).

= وفي (٣١١/١٥) كتاب التوحيد: باب قوله تعالى: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا» حديث (٧٣٨٠). ومسلم في صحيحه (٩/٢): كتاب الإيمان: باب قول الله عز وجل: «ولقد رآه، حديث (٢٨٩) (١٧٧) وأحمد في مسنده (٤٩/٦). من طريق إسماعيل بن خالد عن عامر الشعبي، به. وأخرجه البخاري في صحيحه (٤٥٩/٦): كتاب بدء الخلق: باب: إذا قال أحدكم: آمين، والملائكة في السماء... حديث (٣٢٣٥). ومسلم في صحيحه (٩/٢): كتاب الإيمان، باب معنى قوله تعالى: «ولقد رآه، حديث (٢٩٠) (١٧٧). من طريق أبي أسامة حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن ابن الأشوع، عن الشعبي، به. وأخرجه مسلم في صحيحه (٨/٢): كتاب الإيمان: باب «ولقد رآه، حديث (١٧٧). والترمذي في سننه (٢٦٢/٥): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الأنعام، حديث (٣٠٦٨) والطبري في تفسيره (٥١٢/١١ - ٥١٣). حديث برقم (٣٢٤٧٥). (٣٢٤٧٦). (٣٢٤٧٧). (٣٢٤٧٨)، (٣٢٤٧٩). وابن حبان في صحيحه (٢٥٧/١): كتاب الإسراء: باب ذكر تعداد عائشة قول ابن عباس الذي ذكرناه من أعظم القرية، حديث (٦٠)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٣٠٣/٨)، حديث برقم (٤٩٠٠).

كلهم من طريق داود بن أبي هند عن عامر الشعبي عن مسروق عن عائشة به. وقال الحافظ: متفق عليه وقد تقدم طرف منه في الأنعام. انتهى.

١٣٨٦ - تقدم برقم (٣٤٦)، وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة الموضوع على رسول الله ﷺ. وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي وابن مردويه بإسنادهما إلى أبي بن كعب. انتهى.